# الفالس الكبير

قصة للكاتبة السوفياتية ايفاجوف

ترجمة عن الروسية رضوان ابراهيم

## تعريف

من الكتب الواسعة الانتشار بين القراء للكاتبة السوفييتية أينا جوف : « انا الغابة » ، و « خفقات قلب » ، و « نقطة الفليان » ، و « بهذا لا يمكنك ان تكون » ، « التليفون يدق في الليل » ، و « أحلام الشمال » ، وآخر كتاب لها صدر عام ١٩٦٥ بعنوان « لاتصدق المرآة » ، ويضم قصة طويلة بهذا العنوان ، وبضع قصص قصيرة من بينها : « حجر الياقوت العجيب » ، و « طابور الكيروسين » ، و « العربة » ، و « الملازم ليلكين » ، و « الفالس الكبير » ، و « سكفورشكين الجريح » ، وكلها تدور حول الحرب وويلاتها .

وقصة « لا تصدق المرآة » قصة طويلة تحكي حياة اسرة سوفييتية ، بها ثلاثة اجيال من النساء ، والشخصية الرئيسية فيها وهي أناميجونوك ، امرأة تعيش حياة شاقة وشريفة ، مات زوجها الاول برصاصة قاطع طريق ، والثاني في أبان الحرب الوطنية ، ولكن هذين المفقودين لم يحطما في نفسها التفاؤل والطموح الى السعادة ، وتاريخ أنا وابنتها فيرا وحفيدتها تانيا ، يشكل موضوع هذه القصة الجميلة .

وقصة « حجر الياقوت العجيب » مخصصة للشهر الاول من الحرب العالمية ، ومعروضة من خلال احاسيس شابة في الرابعة عشرة، مودعة من مواطني المدينة ، وعن المشقات الاولى والخسائر الاولى للحرب ، وآلام الفراق ، وغيرها من مضامين هذه الاقاصيص .

واسلوب الابداع عند ايفاجوف يتميز بالسرد الشاعري السهل ، والقدرة على التغلغل في لب الظواهر ، والامزجة ، والثقة بالنفس ، والعلاقات الانسانية المتبادلة .

## القصة

هذا هو اسم الفيلم الذي كان يعرض على شاشة السينما قبل الحرب بفترة وجيزة ، ويحكي عن حياة المؤلف الموسيقي العظيم يوجان شتراوس ، الذي كان أهله يدعونه شاني .

لقد تزوج المؤلف الكبير من بولدا المثيرة ، ابنة بائع الخبز ، حين لم يكن قد وصل بعد الى قمة المجد ، اما المغنية الجميلة المتألقة كارلا دونير فقد كان بينها وبينه حب ماسوي كبير .

في هذه السنوات لم تكن دور العرض تدللنا بهذه الافلام ، ففيلم « الفالس الكبير » قد ظفر بنجاح لم يسبق له مثيل ، وعرض خمسا.. وعشرا .. وخمس عشرة مرة ، وشاهده جدي الصيدلي الاوديسي القديم ، ذلك الانسان الذي يحيا حياة متحفظة قاسية ـ شاهد « الفالس الكبير » اثنتين وعشرين مرة ، ولهذا كان يقال عنه في البيت، وعلى سبيل المزاح ، انه عاشق كارلا دونير .

كان الجد في هذه الاونة في عامه الستين ، وفي الحقيقة انه كان يمكن ان يحب ، وهذا الحب الاخير قد منحه حرارة تشبه دفء شمس الغروب .

وكارولا دونير التي لعبت دورها الممثلة ميليتسا كوريوس ـ كانت متألقة فاتنة ، وكنا نحلم ، نحن الفتيات ، مجرد حلم فقط ، بأن نتشبه بها ، او نسلك سلوكها . او نفوز بقدر من هذا النبل والفخار .

هذا هو المؤلف الموسيقي الشاب المتطرف ، وقد احتار في دوامات الارضية المخرمة لثوبها المصنوع من الدانتيل . وتساله هي :

ـ « أضيق هو ؟ »

كم في هذا السؤال من التهكم والسخرية الهادئة . ثم وهي تقول:

ـ « سوف اعاونك .. وساعمل هذا بمنتهى السهولة » .

وتمزق الدانتيل غير آسفة على الثوب .. هكذا مزقت الثوب بجرأة ، بعد ان ساعدت شاني على ان يقوم بعملية الاختيار بينها وبين بولدا ، ويرفض حبها . سوف يظل يوجان شتراوس يذكرها طوال حياته ، ويكرس لها كل الحانه ، لان الحزن على الآمال الضائعة يذكي جذوة الفن .

وأطل الشيخ العجوز من شرفته على الجماهير المحتشدة في يوم الذكرى لتحية المؤلف الموسيقي المحبوب ، فرأى من خلال الدموع الغائمة كيف تبرز شخصيتها الشابة الجميلة ، لا بين الجمهور ، ولكن فوق الجمهور .

لقد شاهدت فيلم « الفالس الكبير » ثلاث مرات .

كانت المرة الاولى في الجنوب ، في الهواء الطلق ، تحت السماء المفتوحة ، وتحت نجوم القوقاز ، بين الاشجار الخضراء الداكنة التي ترسل حفيفها في الظلام من وراء سياج دار السينما الصيفية ، وبين الصوت البلبلي النسائي على الشاشة ، والشعور بالحب ، وهداة القلوب الرقيقة السعيدة .

كنت يومها في الثالثة عشرة من العمر ، كنت أصغر من في الصالة جميعا ، ولكنهم سمحوا لي بالدخول ، لانني ابنة معاونة المسرح .

وانصرف الجمهور ، والناس يتنهدون ، ويجففون دموعهم ، والنساء في ثيابهن الحريرية الزاهية ، والرجال في حللهم المفصلة قبل الحرب ، وهم نزلاؤنا في دار الاستجمام .

كانت لي ضفائر سوداء صغيرة ، ومرفقان نحيفان خشنان ، وكانت لدي رغبة شديدة في ان اكون هكذا مثلما كانت كارولا دونير ، ولقد عرفت أنه كان لهذا الحب مفخرتان : مفخرة تقبل ، ومفخرة ترفض ، لا .. لا ، ان مفاخر بولدا لا تليق بي ...

من الجائز ان اكون قد عرفت هذا فيما بعد ، ففي هذا المساء ، حينما نام الجميع ، لبست ملابسي من جديد ، ومن مدخل النافذة الضيقة قفزت الى الحديقة .

كان الليل مقمرا ، وكان ناصع الضياء بالنسبة للجنوب ، وباندفاع ولذة تضوعت ازهار الجنوب ، وفي المبنى الرئيسي للمصح انطفأت جميع النوافذ ، اما الابواب الداخلية للشرفات الدائرية الطويلة فكانت مفتوحة . كان الليل دافئا ، الا انه كان خانقا . واردت ان يحبني أي انسان، في اي وقت ، على ان يكون حبنا هكذا جميلا وعنيفا ، كحب

شاني وكارولا دونير . واعتصر قلبي هكذا ، كما لو كنت في هذه الساعة أفارق الى الابد حبيبا أحببته طوال حياتي .

والمرة الثانية التي شاهدت فيها « الفالس الكبير » كانت أبان الحرب في احدى مدن سيبيريا ، وفي دار من دور السينما القديمة الباردة ، حيث كان المشاهدون يقرضون حبات الفول السوداني ، ويطلقون الدعابات اثناء عرض الفيلم .

كان ذلك في عرض نهاري ، وكان كثير من الصبية والاطفال والراشدين قد وصلوا قبل الموعد ، وهم أولئك الحكماء الذين وصلوا الى الحكمة لا عن طريق السن .

وحينما تبادل البطلان القبلات على الشاشة انطلق صفيرهم في غضب ، وفجأة حدث شيء ما في الصالة ، لقد خفتت الضحكات ، وتوقفت اصوات قرض الفول السوداني ، فقد اقلعت الصالة مع السفينة التي تحمل يوجان شتراوس الى اعالي الدانوب .

كنا نجلس في الصف الاخير ، وكنت في الخامسة عشرة من العمر، ولم نكن قد تبادلنا القبل مرة واحدة ، ولكن ايدينا كانت تتشابك فحسب . كم كان ذلك مخيفا في بادىء الامر . انني اتذكر يده وهي تقترب مني ، ونظرته المتجهة الى الشاشة ، وتقارب أيدينا ببطء ، وحينما مستني يده جذبت يدي ، ولسبب ما اخذت اسوي خصلة من شعري الذي تهدل من تحت القبعة ، ومن جديد ارحت يدي على ركبتي . لم يعد ينتظر طويلا لكي يتناول يدي . اننا نجلس الآن دون ان نحول انظارنا عن الشاشة ، خشية ان يفتضح امرنا . كيف ينبغي ان نحب ؟ هل يمكن ان يكون هذا هو الحب الذي كان بين شاني وكارولا ؟ هل يمكن والحرب قائمة ، والعدو على نهر الفولجا ، والمستشفيات غاصة بالجرحى ؟

أن آباءنا في الجبهة ، وابناء مدينتنا في الاسر ، ومن المحتمل ان يشتتنا القدر غدا في مختلف الجهات ، والا نلتقي بعد ذلك ابدا ، او نلتقي اخيرا وبعد فوات الاوان ، بعد ان يكون لكل منا حياته الخاصة وطريقه الخاص ، وقد يتوقف بنا الى الابد شتاء الحرب ، ودار السينما الدافئة ، والصف الخلفي ، ومسار الاشعة الشاحبة المنبعثة من غرفة السينما ، وايدينا المتشابكة ، والاصوات النسائية التي تشبه اصوات البلابل على الشاشة .

منذ وقت غير بعيد تسلمت منه رسالة :« لقد عرض في مدينتنا من جديد ، وبعد مرور بضع سنوات ، فيلم « الفالس الكبير » ، وقد ذهبت بالطبع لمشاهدته ، ومرة اخرى اقتنعت بالا اكرر ما سبق، فعبثا نحاول ان نحتمل مرة اخرى . انني لاسال نفسي عن شيء واحد : اذا كان « الفالس الكبير » سيعرض في مدينتنا .. أفلا تذهبين .. »

لقد تأخرت هذه الرسالة ، وكانت لدي الفرصة لان اشاهد للمرة الثالثة فيلم « الفالس الكبير » ، لقد جدد هذا الفيلم القديم ، ولاول مرة ترجم نطقه ، وكان قبل الحرب مصحوبا بترجمة مكتوبة على الشاشة .

كان هذا الفيلم ضمن سلسلة من الافلام التي تصور حياة عظماء الفنانين .

جلست في الصالة المظلمة ،في الصف الاخير ، وكانت هذه احدى دور السينما الجديدة المكيفة الهواء ، ذات الشاشة العريضة ، والواجهة النظيفة المزينة بالاضواء الباهرة .

وحينما انتهى عرض الفيلم ، وتحركت ببطء بين الجموع نحو باب الخروج ، كنت اشاهد وجهه هذا ، كان بين الناس كثيرون ممن تقدموا في السن ، وربما كان هنا بين هؤلاء الناس شخص ما ، شخص شاهده معي لاول مرة في ليلة من ليالي الجنوب الدافئة ، تحت النجوم ، في الصيف الاخير قبل الحرب .

ثم تذكرت من بعد ذلك جدي ، لقد مات منذ امد طويل ، فلم يتيسر له ان يشاهد « الفالس الكبير » للمرة الثالثة والعشرين ..

**ترجمة رضوان ابراهيم**


الشوارع العارية

رواية تأليف

فاسكو براتوليني

ترجمة ادوار الخراط

صدرت حديثا

صورة الفنان في شبابه

رواية تأليف

جيمس جويس

ترجمة ماهر البطوطي

صدرت حديثا

منشورات دار الآداب ـ بيروت ـ ص . ب ٤١٢٣